حتى في الأحلام

حلمت يوماً أنني أسكن في قصر، قصر على أعلى جبل، جميل جداً، فيه أبهى وأحلى المفروشات، وأكثر الأجهزة تقنية وعصرية، وحولي الخدم يتناثرون، وأنا أرتدي أجمل الثياب، وجسمي رشيق كابنة العشرين، ممتلئ بالعقود والمجوهرات الثمينة، شعري يتطاير بكل حيوية، كنت جميلة جداً مثل الأميرات، وأولادي من حولي يلمعون كالدمى، يرتدون أحلى ثياب، يلعبون أحدث الألعاب وأكثرها رفاهية، والمدبرات يعتنين بأمورهم ويلبين طلباتهم، وأنا أشرف على كل من في القصر بكل اطمئنان ورضا.

.. في لحظات وضع الخدم أمامي طاولة عليها شتى الأصناف من الأطعمة، كلّها مما لذّ وطاب، الدسم والعصائر والحلويات، وكل الأصناف تحتوي على خلطة سحرية تجعلني آكل وآكل دون أن أسمن، استدعيت جميع أهلي وصديقاتي وجاراتي ليجلسوا ويأكلوا معي ويروا الهناء الذي أتنعّم به، كنت سعيدة جداً.. وفخورة جداً..

دخل علينا زوجي ونحن نأكل ونتكلّم ونضحك، قلت له بكل حبور وعلى عجالة:

تعال يا حبيبي واجلس معنا، لكن قبل ذلك.. ليتك تعطي الخادم ليشتري لنا ملحاً فقد نفد..

فوجئت به ينظر إليّ مكفهراً، جمد في مكانه، احتقن وجهه سريعاً، تأمّلني بغضب وحدّة، شعرت بالإحراج أمام ضيوفي، جهلت ما سأفعل، لكنه زاد في إحراجي وراح يقترب مني..

كان يقترب ويقول بكل ثورية وغضب: ليس معي نقود.. ليس معي..

صوته يعلو.. وهو يقترب أكثر ويحتدّ أكثر ويعقد حاجبيه أكثر.. ليس معي..

كأنه يريد أن يهجم عليّ.. أن يضربني.. ليس معي..

ضاق نفسي من رذاذ نبراته، فمه يكبر يريد أن يلتهمني، رائحة فمه تخنقني.. ليس معي..

صحوت مذعورة أحاول التنفّس، وكأن صوته ما زال في أذني، كلماته تخترق حتى صحوي، أما زلت أحلم أم أنني صحوت..؟!.. نظرت بجانبي.. وجدت زوجي غارقاً في النوم وهو يقول حانقاً: ليس معي.. ليس معي..!!